

ولا يكتفى المازني بذكر المجاز والاستعارة وإنما هو يؤكد أن المحسنات البلاغية من عناصر تلك اللغة العاطفية، إذ يقول: «لا شك في أن العاطفة في الشعر هي الأصل في هذه المحسنات التي يخلعها عليه قائلوه، ومبعث هذا البديع الذي جن به الناس، وافتتوا بيهجته في الزمن الأخير»^(١).

ولم يكن المازني غافلاً عن إساءة استخدام الشعراء للمحسنات البلاغية، فقد فرق بين جميل منها يستعمله الشعراء المطبوعون، وذييم يستعمله الشعراء المتصنعون، إذ يقول: «قد يستعمل هذه المحسنات طائفة الناظمين والمقلدين. ولكنك تراها في كلامهم نافرة مردولة، ثقيلة الورد على النفس، موجودة في السماع، من أجل أنها محسنات أتى بها صاحبها لبريقها وزونقها لا لأنها عالقة بالعاطفة، وإنما تراهم يستكثرون من البديع والاستعارات والمجازات في كلامهم ليخفي وميضها قدم المعاني وقبحها وفسادها»^(٢).

وواضح أن دعوة وردزورث وكولردج إلى أن الشعر في جوهره عاطفة، وأن تلك العاطفة هي التي تدفع الشاعر إلى استخدام عناصر البراعة الشعرية، من لغة مجازية، وألوان بلاغية هي نفس الدعوة التي عبر عنها المازني^(٣).

٧٦ - قصور اللغة:

اللغة هي أداة التعبير الكلامي^(٤). وليست هي بأي حال الشعر، والشعر ليس هو اللغة وإنما اللغة أداة للشعر، مثل الألوان والرخام والألحان التي هي أدوات للتصوير والنحت والموسيقا والغناء^(٥). أما الشعر فصناعة توليد العواطف بواسطة الكلام. فالشاعر يستخدم الألفاظ والقوالب والاستعارات التي تبعث في نفس القارئ ما يقوم بخاطر الشاعر من الصور الذهنية. وقد أحس الرومانسيون أن اللغة قاصرة عن أن تعبر عما في نفوسهم إلا وحيًا أو رمزًا، فصار الخيال عاملاً متمماً ضرورياً ليعوض هذا القصور. واضطر الشعراء إلى أحد أمرين، إما عدم الاستقصاء بل الغموض أحياناً، وإما الرمز. وقد تناولنا الحديث عنه عندما عالجتنا موضوع الخيال.

(١) الشعر ٢٢.

(٢) الشعر ٢٣.

(٣) فصل النقد الإنجليزي ٩٩، ١٠١. سيرة أدبية ٢٩٥ B.L. ١٧٧. Morley ٨٥٢، ٨٥٣.

(٤) فصول من النقد عند العقاد ٢٩٦. أتين ورتين ٢٠٢. فوق العباب م.

(٥) فصول من النقد ٢١٤.